جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

جماليات الطبيعة النباتية في القرآن الكريم
(دراسة صوتية أسلوبية)

إعداد

د/ عبير أحمد الغامدي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة جدة

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

جماليات الطبيعة النباتية في القرآن الكريم (دراسة صوتية أسلوبية)

عبير أحمد الغامدي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Alghamdi.abeer96@gmail.com

الملخص:

لقد زَخِر القرآن الكريم بآياتٍ نباتية كثيرة، وجاءت في صورٍ وتراكيب متعددة، وفي سياقاتٍ مختلفة، فهَدفَ هذا البحث إلى دراسةِ آيات الطبيعة النباتية واستجلاء مكامن الجمال فيها، من خلال المنهج الأسلوبي، الذي عَمل على دراسةِ الآيات صوتيًّا، ويهدف البحث إلى محاولة استجلاء الخصائص والظواهر الأسلوبية الصوتية للآيات النباتية. ويتكوَّن البحث من مقدمة تحتوي على أسباب دراسة الموضوع وأهدافه ومشكلة الدراسة وفروضها، وأهم الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الآيات النباتية، وتمهيد يتناول مفهوم الجمال في الدراسات الأدبية، ومفهوم الأسلوبية في الدراسات الحديثة. وثلاثة مباحث تناولت: أهمية الدراسة الصوتية، والخصائص الصوتية للمفردات النباتية، وجماليات التكرار الصوتي، وخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومن أهم تلك النتائج: ان الدراسة الصوتية تلعب دورًا أساسيًا في الكشف عن جماليات النص القرآني، فتتلائم بذلك الدلالة الصوتية مع السياق. واختيار الأصوات في المفردات النباتية، وصفاتها المختلفة الانفجارية منها والاحتكاكية، وتوزيع مخارجها ما بين متقارب ومتباعد، قد أحدث نوعا من الانسجام الجميل رغم اختلافها مما يتوافق مع مدلول المفردة. أسلوب القرآن الكريم قد أفاد من الصوت، ما فارق به عن أساليب الكلام العربي. وأن في تكرار الصوت تصوير وتجسيم وايحاء مما يدلُّ على أن نغمة الجرس تُسهم في إبراز المعنى المراد.

الكلمات المفتاحية: الجمالية، الأسلوبية، النبات، الصوت، المفردة.

The Aesthetics of Botanical Nature in the Holy Qur'an (A Phonetic and Stylistic Study)

Abeer Ahmed Al-Ghamdi
Department of Arabic Language and Literature, College of Languages and Translation, University of Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Alghamdi.abeer96@gmail.com

Abstract:
The Holy Qur'an is replete with numerous verses on plants, appearing in various forms and structures, and in diverse contexts. This research aims to study verses on plant nature and uncover their beauty using a stylistic approach, which studies the verses phonetically. The research aims to attempt to uncover the stylistic phonetic characteristics and phenomena of verses on plants. The research consists of an introduction that includes the reasons for studying the topic, its objectives, the problem of the study, and its hypotheses. It also highlights the most important previous studies that have addressed the topic of verses on plants. It also includes a preface that addresses the concept of beauty in literary studies and the concept of stylistics in modern studies. Three chapters address the importance of phonetic study, the phonetic characteristics of plant vocabulary, and the aesthetics of phonetic repetition. A conclusion contains the most important findings of the research, most notably: Phonetic study plays a fundamental role in revealing the aesthetics of the Qur'anic text, thus aligning phonetic meaning with context. The selection of sounds in plant vocabulary, their various qualities—both explosive and fricative—and the distribution of their articulation points, both close and far apart, creates a beautiful harmony despite their differences, which is consistent with the meaning of the word. The style of the Holy Qur'an benefits from sound, distinguishing it from other styles of Arabic speech. The repetition of sound provides imagery, embodiment, and suggestion, indicating that the tone of the timbre contributes to highlighting the intended meaning.

Keywords: Aesthetics, Stylistics, Plants, Sound, Vocabulary.

المقدمة

لقد تعدَّدت وسائل الخطِاب القرآني في الدَّعوة إلى الهداية ما بين آياتِ الترغيب والترهيب، وآياتِ القصص وضربِ الأمثال، وآياتٍ تدعو إلى التأمِّل والتفكّرِ في كلِّ ما حولنا من مخلوقات في السماءِ والبرِّ والبحر؛ ولأنَّ الطبيعة تُمثِّل الجزء الأكبر من بيئةِ الإنسان، وهي قريبةٌ من حدودِ إدراكهِ وفهمهِ، فكانت المُفردة الطبيعية وسيلة من وسائلِ بناء المعاني والصور القرآنية، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧]، ومن تلك المفردات الطبيعية المفردة النباتية التي حظيت بدورها في بيان المقاصد القرآنية، و جمالية أداء المعنى في سياقات متعددة، كسياق القدرة الإلهية، وسياق العذاب، و سياق النَّعيم ، و السياق القَصصِي لا تقوم لفظةٌ أخرى مقامها، فالمفردة النباتية وجهٌ من وجوه الإعجاز القرآني. وقد حظي علم المفردة باهتمامٍ واسعٍ لدى الكثير من العلماء مِمَّن درسوا كتاب الله عزَّ وجلَّ قديمًا وحديثًا، لما تحمله من معانٍ ودلالات، ولخصوصيتها داخل النَّظم القرآني، فالسياق يكشف عن الملامح الدِّلالية التي تُميز المفردة في التعبير القرآني.

وقد اهتمَّ الباحثون في المجال الأدبي بدراسةِ جماليات المفردة القرآنية، ولا شكَّ في ذلك فالمفردة القرآنية تَكتسبُ ميزة مناسبة المقام بطاقةٍ وجدانيةٍ كبرى تختزنها بداخلها للتأثير في القارئ، وقد اكتسبتها من الظلالِ الروحية التي تُحيط بها في داخل النص، فتتخذ لها بذلك معانٍ ثانوية يجود بها الموضوع المرتجى.[١] التأثير الوجداني في الآيات القرآنية كان سببًا في الربط بين المتلقي

(١) يُنظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، دمشق: دار المكتبي، (١٩٩٩م)، ط٢، ص٢٧.

والنص بوشائجٍ متينة، وهذا الاستحقاق يكمنُ في ديمومة ربط المرء بالواقع: الواقع النفسي في القدرة على إثارته على مرِّ العصور، وكذلك الواقع المحسوس في تصوير جزيئاته في الطبيعة الصامتة والمتحركة، والمشاهد المألوفة، وتقريب ما هو ليس بمألوف بإثارة الحواس والبصيرة.(١)

ومن هنا آثرت الباحثة اختيار عنوان موضوع بحثها: (جماليات الطبيعة النباتية في القرآن الكريم)، وسيجتهد البحث في رصد المفردة النباتية، ودراستها صوتيًّا وستكون الدراسة وفق المنهج التحليلي الأسلوبي للكشف عن جماليّات الموضوع، فقد احتلّ علم الجمال مكانته في الدِّراسات الأدبية الحديثة، ومنه ظهر مصطلح "جماليَّة" والذي عُني بمعرفةِ العناصر التي تُكسِب النصَّ جمالاً، فيتولى المنهج التحليلي الأسلوبي وظيفة الكشف عنها.

حيثُ تهدف الدِّراسة الأسلوبية للنصوص الأدبية إلى البحث عن المقوّمات الفنية التي بها يتم الاهتداء إلى انتقاء، أو اختيار المادة، وتسعى في أثناء تناولها للنص إلى تحديد الخصائص النوعية، التي تُمثَّل تشكيلهُ اللغوي؛ ليصير نظامًا من العلامات، فهي تعتبر النص ظاهرة لُّغوية، ونظامًا اشاريًّا يتضمَّن أبعادًا دلالية.(٢) أسأل الله السداد والتوفيق لإضافة جهد هذا البحث إلى جهودٍ سابقة عظيمة خدمةً للقرآن الكريم.

– أسباب اختيار الموضوع:

رغبة الباحثة بخدمةِ كتاب الله تعالى بدراسةِ آياتهِ والكشف عمَّا تحويهِ من إعجازٍ وبيانٍ، والإسهام في بناءِ مكتبة الدِّراسات القرآنية ببحثٍ يتناول جماليات البناء الصوتي للنصِّ القرآني.

---

(١) يُنظر: ياسوف، أحمد، المرجع نفسه، ص٢٩، ٣٠.

(٢) يُنظر: سريدي، الحسين، حدود الأسلوبية واتجاهاتها، جامعة الجيلالي اليابس_سيدي بلعباس، مجلة البدر، مج١٠، ع٦، (٢٠١٨م)، ص٦٧٩.

- مشكلة الدراسة:

يهدفُ البحث إلى الكشفِ عن جماليات آيات الطبيعة النباتية في السِّياقات القرآنية المتعدِّدة من خلال استثمار طاقات المنهج الأسلوبي، استظهارًا لمكامنِ الجمال الصوتي بالآيات النباتية.

- فروض الدراسة:

١- انسجام أصوات المفردة النباتية مع معانيها.

٢- بيان المقاصد القرآنية من خلال الإيقاع الصوتي بالآيات النباتية.

٣- يغلب سياق القدرة الإلهية في الآيات النباتية؛ لارتباط النبات بالإعجاز الخلقي.

- أهداف الدراسة:

محاولة استجلاء الخصائص والظواهر الأسلوبية الصوتية للآيات النباتية.

- أهمية الدراسة:

قِلَّة الدِّراسات الأدبية التي تناولت آيات الطبيعة النباتية في القرآن الكريم. وسيسهم هذا البحث بإذن الله في إثراء الدراسات الأدبية والأسلوبية لموضوعات القرآن الكريم.

- الدراسات السابقة:

وقفت الباحثة على عِدَّة دراسات ذات صلة بجزءٍ من موضوع البحث:

- **(النبات في تصويرات القرآن الكريم):** دراسة بلاغية،(٢٠٠٤م)، صلاح الدين محمد أحمد غراب، وهي دراسة منشورة في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، وهذا البحث يدرس النبات في القرآن ويحاول التعرف على دلالاتهِ من خلال التراكيب التصويرية وخاصَّةً تلك التراكيب التي تَظهر في أثواب التشبيه المجاز والكناية.
- **(التصوير البياني لمظهر النبات في سياق سرعة زوال الدنيا وفنائها)،** (٢٠١٥م) ، سمية إبراهيم أحمد ، دراسة منشورة في المجلة العلمية لكلية

الآداب جامعة أسيوط، هدف البحث الكشف عن التصوير البياني لمظهرِ النبات في سياق سرعة زوال الدنيا وفنائها، وتناول البحث ثلاثة مواضع لثلاثة تشبيهات: الموضع الأول لسورة الكهف، والموضع الثاني لسورة يونس، والموضع الثالث لسورة الحديد.

كذلك يوجد مجموعة من الدِّراسات الدِّلالية موضوعها اللفظ النباتي:

- **(اللزوم الدلالي لسياقات ألفاظ النبات في القرآن)**: (٢٠٢٠م)، فيصل عبد النبي ناجح، دراسة بلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، قامت هذه الدِّراسة على البحث عن استعمال السياق للكلمة النباتية المفردة في النصوص التي وردت فيها داخل السياق القرآني للنظر في وجودِ دلالة مُصاحبة ومجاورة للكلمة في الاستعمالِ القرآني.
- **(ألفاظ النبات والشجر في القرآن الكريم)**: دراسة دلالية، (٢٠٠٦م)، مايسة حامد خليل حامد، رسالة ماجستير، جامعة الفيوم عبارة عن دراسة نظرية تناولت النبات والشجر في الرسائل اللغوية والمعاجم المعنوية، وتدور حول النظريات الدلالية الحديثة: نظرية الحقول الدلالية والعلاقات الدلالية، نظرية التحليل التكويني، التغير الدلالي.
- **(ألفاظ الحيوان والنبات في القرآن الكريم)**: دراسة دلالية، (٢٠٠٢م)، فخري أحمد سليمان الجريسي، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق.
- **(ألفاظ الشجر والنبات في القرآن الكريم – دراسة ومعجم)**، (٢٠٠٠م)، أسعد جواد يوسف، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، العراق.

ركزت الدِّراسات السابقة على الجانب الدلالي اللغوي، وعلى دراسةِ نماذج معدودة من الأمثلة والتشبيهات القائمة على التصوير بالنبات وفق منهج التحليل البلاغي. وهي بذلك تختلف عن دراسة الباحثة، فالبحث يهدف إلى دراسة جانب جماليات المستوى الصوتي للمفردة النباتية وفق المنهج التحليلي الأسلوبي.

- حدود الدراسة:

يقتصر هذا البحث على دراسةِ الجانب الصوتي بالآيات النباتية في القرآن الكريم.

- منهجية الدراسة:

يحتاج النص القرآني لمنهجٍ يكشفُ عمَّا تحملهُ الآيات من روعة الأسلوب ودقّة اختيار الأصوات بما يناسب السياقات المتعددة والمختلفة وذلك بتحليلِ أجزائها ومكوّناتها؛ ولذلك فإنَّ هذا البحث يتوسَّل المنهج الأسلوبي في البحث والتحليل.

وقد اعتمد البحث في دراسته للموضوع، على هيكل معيَّن يبتدأُ بمقدمة البحث ويحتوي على أسباب اختيار الباحثة للموضوع، وأهمية البحث، وفروض الدراسة وحدودها، وعرض لأهم الدراسات التي تناولت آيات النبات في القرآن الكريم، وتمهيد تناولتُ فيه مفهوم الجمال في الدراسات الأدبية، وثلاثة مباحث، ويحتوي المبحث الأول على: أهمية الدراسة الصوتية، والثاني: يتناول الخصائص الصوتية للآيات النباتية، والثالث: يتناول جماليات التكرار الصوتي بالآيات، وخاتمة تحتوي على أهم النتائج للبحث.

التمهيد

-مفهوم الجمال في الدراسات الأدبية:

الجمالُ هو مُرادفٌ لكلِّ حُسنٍ على الأرضِ، وهو موجودٌ في كلِّ المخلوقات من إنسانٍ وحيوان ونبات، فعندما يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:٦٤]، وعندما يقول: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[السجدة: ٧]، فإنَّه يقصدُ الكمال والتمام في الخَلق، والتمييز بين كلِّ مخلوقٍ والآخر في شكلهِ(١)، وقد ميَّز الله خلق الإنسان في جسدهِ وصفاتهِ، فلا يليقُ كلَّ عضوٍ من أعضائهِ إلا في محلِّه ولوظيفته التي خُلِقَ لأجلها(٢)، فالجمالُ دليلٌ على الكمال والتمام.

والجمالُ لغةً هو: مصدر الجميل، والفعل جمل، وهو البهاء والحسن، يكون في الفعل والخلق.(٣) ويُمكن أن نلتمس الجمال في كلِّ شيءٍ، فهو "ما يثير فينا إحساسًا بالانتظام والتناغم والكمال. وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطبيعة، أو في أثر فنيّ من صنع الإنسان، وإننا لنعجز عن الاتيان بتحديد

(١) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٩٩٧م)، ط٤، ج٦، ص٣٠١.

(٢) يُنظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٠م)، ص٧٤١.

(٣) يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت: دار صادر، (١٤١٤هـ)، ط٣، ج١١، ص١٢٦. (جمل)

واضح لماهية الجمال؛ لأنه في وقعه إحساس داخلي يتولّد فينا عند رؤية أثر تتلاقى فيه عناصر متعددة، ومتنوعة، ومختلفة باختلاف الأذواق".[١]

فهو إذًا أمرٌ غريزي مرتبط بالعاطفة والنظرة النفسية نحو الأشياء بحسب ما تتمتع به تلك الأشياء من عناصر ملفتة تخضع في قبولها للذوق، ولا يُمكن تحديده بشكلٍ دقيق أو قياسه بوضوح، فهو مسألة نسبية.

ومن هنا ظهر ما يسمى بعلم الجمال: وهو علمٌ يدرس طبيعة الإحساس الفني في أيِّ شكلٍ من أشكالِ الإبداع الإنساني، سواءً كان في الآداب الإنسانية أو الفنون. ولم يثبت هذا العلم في تحديدهِ للجمال الفني، والكشف عن أسراره على أسلوبٍ واحد خلال تطوّرهِ زمنيًّا، بل مرَّ بمراحلٍ عِدَّة متأثرًا بالعلومِ الأخرى المتزامنة معه، مثل: المنهج العلمي التطبيقي، والمنهج النفسي، والمنهج الفينومنولوجي.[٢]

وقد ارتبط الجمال بالفن منذُ بدءِ التاريخ، فالإنسان عندما أدرك جمال هذا الكون ومدى حاجتهِ لموجوداتهِ، راح يتعاطى معها بفنيةٍ أحيانًا، ونفعية أحيانًا كثيرة، أمَّا الفنية فتمثَّلت في كيفية تأقلمهِ مع هذا الوجود الجديد حتى يُحافظ على كيانهِ، فاتَّخذَ من الكهوفِ مساكنًا، وصنع من الحجارة حرابًا يُدافع بها عن نفسه. فالفنُّ إذًا قديمٌ قِدَم الإنسان، وأخذ وعيهُ بالجمال يتطوّر شيئًا فشيئًا حتى عرف الزِّراعة، حيثُ كانت بداية عهدٍ جديد لنزوعهِ الفني، وتطور احساسه بالجمال، إذ بدأ في هذا العهدِ يصنع التماثيل من الطمي، والمساكن من الطوب اللبن، وأخذ في زخرفةِ جدران كهوفه ومساكنهِ بشتى أنوا ع الحيوانات، فتلك الممارسات

(١)عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨٤م)، ط٢، ص٨٥.
(٢) يُنظر: عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، المرجع السابق، ص٨٦.

اليومية للإنسان البدائي هي ثمرة ملاحظته للكون والبيئة من حوله، وكانت سببًا في إدراكه لمفهوم الجمال، ومحاولة تلمّسهِ في كلِّ ما حوله.(١)

ويكْمنُ الجمال في الفنِّ بأن يكون الابداع الإنساني ضمن تصوّراته التي يرغب فيها، وهذه التصورات ماهي إلا المثل الجمالي الذي ينزع إليه ويحببه إلى نفسه مع نوعٍ من الحرية والتخلص من كلِّ النوازع، وإذا تحرر الإنسان وتخلص من كلِّ القيود، فإنَّه يصلُ إلى درجةٍ عالية من الوعي الجمالي، فيبدع بذلك عملاً فنيًّا صادقًا(٢).

"وتبحثُ التجربة الفنية عن السرِّ في الجمال الذي تنشأ فيه نشوة التجربة، فتتنفس الكلمة وتتحرَّر اللغة، وعند الشاعر تصبح اللغة وسيلةً للتعبير والخلق، فيها يصبُّ صراعه النفسي والفكري ومن خلالها يخلق صورة فنية أخّاذة وحقيقة تشرف بالخير والحق والجمال"(٣). ويكون الجمال في التجربة الأدبية خاصةً بقدرةِ الأديب على التأثير النفسي في المتلقي، وذلك من خلال انسجام الإيقاع الصوتي، والصور البلاغية، والتراكيب اللغوية مع معانيها.

هذا الارتباط الطويل ما بين الفن والجمال، أظهر مصطلحًا جديدًا في القرن التاسع عشر، يحمل معنى الفن من أجلِ الفن(٤)، يعرِّف عباس حسن

(١) يُنظر: حمادة، حمزة، علم الجمال والأدب، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، كلية الآداب واللغات، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع١، (٢٠٠٩م)، ص١٨٤.

(٢) يُنظر: بن عيسى، فضيلة، روميّات أبي فراس الحمداني (دراسة جمالية)، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، (٢٠٠٤م)، ص٨.

(٣) بن عيسى، فضيلة، المرجع نفسه، ص٨.

(٤) يُنظر: ميسة، محمد الصغير، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر –بسكرة–، كلية الآداب واللغة العربية، الجزائر، =

الجمالية: " مصدر صناعي مشتق من الجمال، والمصدر الصناعي يُطلق على كل لفظ زيد في آخرِهِ حرفان، هما: ياء مشددة، بعدها تاء تأنيث مربوطة، ليصير بعد زيادة الحرفين اسمًا دالًّا على معنى مجرد، لم يكن يدلُّ عليه قبل الزيادة، وهذا المعنى المجرد الجديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ، مثل: الاشتراك والاشتراكية، والوطن والوطنية..."[١]

وعلى هذا فالجمالية إذاً تحمل معنى الجمال وزيادة، وهي في القرآن كلُّ ما يُخاطِب المشاعر، وما يتِّصفُ بمعنى المؤثِّر في أرقى أشكاله، وفي تصوير ما ترتاح إليه العين والأذن، فيما ينفر عنه التصوير من خلالِ دِقَّةِ بارعة لتصوير القبيح، كما في رسم مشاهد الكفار، وهذه هي الغاية في الخطاب القرآني هي هداية البشر بالترغيب والترهيب، والتي تعتمدُ على فنون اللغة والبيان.[٢]

ويُمكن استجلاء جماليَّات النصوص الأدبية من خلال المناهج التحليلية النقدية، ومنها المنهج الأسلوبي الذي يعمَد على دِراسة النص من خلال تحليله وفق مستوياتٍ معيّنة، مثل: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

فالأسلوبية إذًا هي مجالٌ من مجالاتِ نقدِ الأدب اعتمادًا على بنيتهُ اللُّغوية دون ما عداها من مؤثراتٍ اجتماعية أو سياسية أو فكرية أو نفسية أو غير ذلك، أي: أنَّ الاسلوبية تُعنى بدراسةِ النص، ووصف طريقة الصِّياغة والتعبير.[٣]

=

(٢٠١٢م)، ص١٣.

(١) حسن، عباس، النحو الوافي، الناشر: دار المعارف، ط١٥، ج٣، ص١٨٦. ميسة، محمد الصغير، المرجع نفسه، ص١٣.

(٢) يُنظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، المرجع السابق، ص١٩.

(٣) يُنظر: سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، القاهرة: مكتبة =

الأسلوبية أو علم الأسلوب هي مصطلحات منبثقة من ترجمة مصطلح Staylistics الغربي، ومن الأصل اللاتيني Stylus، والذي يعني أداة الكتابة، وهو ذو مدلولٍ إنساني، أي هو: نسبي، واللاحقة Istics ذات أبعادٍ منهجية، وعقلية علمانية، وهي تعتبر بذلك موضوعية. ويمكن تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوله بما يُطابق عبارة علم الأسلوب Science de style ، لذلك تُعرف الأسلوبية بداهةً بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب.(١)

"ويزدوج المنطلق التعريفي للأسلوبية في بعض المجالات الأخرى فيمتزج فيه المقياس اللساني بالبُعد الأدبي الفني استنادًا إلى تصنيفٍ عمودي للحدث الإبلاغي. فإذا كانت عملية الإخبار عِلَّة الحدث اللساني أساسًا فإنَّ غائية الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الإثارة، وتأتي الأسلوبية في هذا المقام لتتحدَّد بدراسةِ الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية"(٢)

فالأسلوبية تعمد إلى تفكيك النص ومحاولة تحليله واستظهار الخصائص الفنية التي حوّلته إلى نصٍّ أدبي له جانب تأثيري ابداعي، ولا يمكن الفصل بين لغة الأثر الأدبي ومضمونه؛ فإنَّ ذلك من شأنهِ أن يحول دون النَّفاذ إلى صميم نوعيّته، فقد أقامت نوعيّة الأثر الأدبي على محور الروابط بين الصِّياغة التعبيرية – وهو الجانب الفيزيائي من الحدث اللساني – والخلفية الدلالية التي

=

الآداب، (٢٠٠٤م)، ص٧.

(١) يُنظر: المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الناشر: الدار العربية للكتاب، ط٣، ص٣٤. وينظر: مومني، بوزيد، معلقة امرئ القيس (دراسة أسلوبية)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، الجزائر، (٢٠٠٥م)، ص٢٠.

(٢) يُنظر: المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، المرجع السابق، ص٣٦.

تُمثِّل الجانب التجريدي المحض، وكان هدف الأسلوبيين من ذلك تنزيل عملهم منزلة المنهج الذي يُمكِّن القارئ من إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني إدراكًا نقديًّا مع الوعي بما تُحقِّقه تلك الخصائص من غاياتٍ وظائفية.(١)

ويُعرِّف رومان جاكبسون الأسلوبية بأنها: "بحثٌ عمَّا يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولًا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيًا"(٢).

ومن هنا يمكن القول بأنَّ الأسلوبية تتقاطع مع مفهوم الجمالية في النصوص الأدبية فكلاهما يُعنى بالخصائص الفنية، والعوامل الإبداعية التأثيرية بالنص. فالأسلوبية تسعى للكشف عن جماليات النصوص الأدبية في مستوياتها الصوت والدلالة والتركيب والتصوير، وهذا ما يجعلها علمًا استكشافيًّا غير مقيَّد هدفه التحليل والانتهاء عنده ليترك المجال واسعًا للعلوم الأخرى.(٣)

أهمية الدراسة الصوتية

تعريف الصوت:

الصّوت في الدرس اللغوي هو أحد أربع أنظمة تكوّن في مجموعها اللّغة، هذه الأنظمة هي: النظام الصوتيّ، النظام الصّرفيّ، النظام النحويّ والنظام الدِّلاليّ، " وتمثِّل الأصوات الكلامية الجانب العملي للغة، وهي: أي الأصوات، تُعَدّ الوسيلة الأساسية والجوهرية التي يعتمدُ عليها المرء في بناء الصرح اللُّغوي العام، ولهذا فقد كان الدرس اللغوي بعامّةٍ، والدرس الصوتي بخاصّة، من أقدم الدِّراسات التي شغلت الإنسان واحتلَّت منه موضع الاهتمام"(٤).

---

(١) يُنظر: المسدي، المرجع نفسه، ص٣٧، ٣٨.

(٢) المسدي، المرجع نفسه، ٣٧.

(٣) يُنظر: مومني، بو زيد، معلقة امرئ القيس (دراسة أسلوبية)، المرجع السابق، ص٢١.

(٤) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، الناشر: منشورات جامعة القدس، (١٩٩٦م)، ص٢.

ومعنى الصوت في اللغة: الصاد والواو والتاء أصل صحيح واحد، وهو الصوت، وهو جنس لكلِّ ما وقر في أذن السامع [١]، والجمع: أصوات، وقيل الصوت صوت الإنسان وغيره، ويُعرِّفه الرَّاغب الأصفهاني: بأنه الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وفي ذلك ضربان: الأولى صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد، والثانية التنفس بصوت ما، والمتنفس ضربان: غير اختياري كما في الجمادات والحيوانات، واختياري كما في الإنسان وذلك ضربان: ضرب باليد، وضرب بالفم، والنطق منه إما مفردة من الكلام وإما مركب [٢].

والصوت هو مادة اللفظ وجوهره، يقول الجاحظ: " الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا ولا منثورًا إلا بظهور الصوت"[٣]، ويُعرّف ابن جني الصوت بقوله: "عرضٌ يخرج مع النفس مستطيلًا متصلًا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تُثنيهِ عن امتدادٍ واستطالة"[٤].

ويُمكن تصنيف الأصوات في اللغة العربية إلى قسمين، هما: الصوائت ويقصد بها الحركات، والصوامت ويقصد بها الحروف [٥]. وهذا التصنيف

(١) ابن فارس، أحمد القزويني، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، (١٩٧٩م)، ج٣، ص٣١٨.

(٢) ينظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠٤م)، ص ٣٢٢.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، بيروت: دار مكتبة الهلال، (١٤٢٣هـ)، ج١، ص٨٤.

(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، سر صناعة الإعراب، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠٠م)، ج١، ص١٩.

(٥) ينظر: بشر، كمال، علم الأصوات، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، (٢٠٠٠م)، ص١١.

لا يقتصر على اللغة العربية فقط، فقد عرَفه كل من الرُّومان والهنود واليونانيين إضافةً إلى العرب [١].

ويتمُّ هذا التصنيف على أسسٍ معينة، ووفقًا لمعاييرٍ محددة، مع التركيز على خاصيتين أساسيتين هما:

أولاً: وضع الأوتار الصوتية.

ثانياً: طريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف عند النطق بالصوت المعين [٢].

ولكلِّ حرف مخرج يخرج منه، وله كيفية تُعرض له تميزه في المخرج، هذه الكيفية هي الصفة، فصفة الصوت اصطلاحًا: هي كيفية خروج الحرف من الناحية الصوتية كالجهر، والهمس وغيرها [٣].

أهمية التحليل الصوتي:

لا يَخفى علينا مدى تأثيرِ الصوت على الأسماع، حيثُ "أنَّ مادة الصوت هي مظهرُ الانفعالِ النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سببٌ في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًّا أو غنّةً أو لينًا أو شدّةً، وبما يُهيَئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقاديرٍ تناسبُ ما في النفس من أصولها"[٤].

(١) ينظر: السعران، محمود، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، القاهرة: دار الفكر العربي، ط٢، (١٩٩٧م)، ص٧٧.

(٢) ينظر: بشر، كمال، المرجع نفسه، ص١٢.

(٣) ينظر: الابراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، الجزائر: دار القصبة للنشر والتوزيع، (٢٠٠٦م)، ط٢، ص٥٥-٥٧.

(٤) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، (٢٠٠٥م)، ط ٨، ص ١٤٩.

ونرى ذلك واضحًا وجليًّا في موسيقا الشِّعر مثلاً؛ فالشاعر يُعبِّر عمَّا في وجدانه من مشاعر وعمَّا في نفسهِ من مقاصِد، ومهما كانت غايات الشاعر فإنَّ المتلقي يستطيع أن يلمس إحساسه من حزنٍ أو شوقٍ، أو عتابٍ أو ندم من خلال إيقاع الوزن وانسجام أصوات الحروف، "والكلام الموزون ذو النَّغمِ الموسيقي يُثير فينا انتباهًا عجيبًا، وذلك لما فيه من توقعٍ لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع لتتكوَّن منها جميعًا تلك السلسلة المتِّصلة الحلقاتِ التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى، والتي تنتهي بعد عددٍ معين من المقاطع بأصواتٍ بعينها نُسمِّيها القافية".(١)

ومن هنا يُمكن القول أنَّه لا يُمكن فهم أيّ نص دون الاعتماد على التحليل الصوتي فيه، حيثُ يُعتبَرُ الوسيلةَ الأولى لدراسةِ النصوص والكشف عن دلالاتها وجماليَّاتها؛ ذلك أنَّ أيّة دراسةٍ على أيِّ مستوى من مستوياتِ البحث تعتمد في كلِّ خطواتها على نتائج الدِّراسات الصَّوتية. فمثلاً لا يُمكن دراسة الصرف بأي نصّ دراسةً صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتي فيه وهذا أمرٌ يُمكن إدراكه إذا عرفنا أنَّ الأصوات هي المظاهر الأولى للأحداثِ اللُّغوية واللَّبناتِ الأساسية التي يتكوَّن منها بناء النص(٢).

الخصائص الصوتية

نالت علاقة الصوت بالمعنى اهتمام الباحثين منذُ القِدم، فكانت محلًّا للنقاشِ والجدلِ عند فلاسفةِ اليونان والرُّومان، وانقسموا في هذا إلى فريقين: أولئِكَ الذينَ نادوا بوجودِ رابطةٍ طبيعية تُدرِكها العقول وتتقبلها الأفهام بين الأصوات والمدلولات، وآخرون يرون أنَّ الأمر لا يعدو أن يكونَ اصطلاحًا عُرفيًّا جرى

(١) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، بيروت: دار القلم، (١٩٨١م)، ط٥، ص١٣.

(٢) يُنظر: هلال، عبد الغفار حامد، أصوات اللغة العربية، (١٩٩٦م)، ط٣، القاهرة: مكتبة وهبة، ص١٥.

عليهِ النَّاس في كلامهم، وأنَّ لا علاقة بين الاصواتِ والمدلولات إلا بقدرِ ما سمح به العُرف والاصطلاح.(١)

وقد ظلَّت علاقة الصوت بالمعنى علاقة جدليِّة مرتبطةً لدى الفلاسفة بالطبيعة أو العُرف زمنًا طويلًا، فنَجِدُ مثلًا عند أفلاطون وأستاذه سُقراط بأنَّ الصِّلة بين أصواتِ الكلماتِ ومدلولاتها غامضة لا تكادُ تتضح في اللغة كما عُرِفت بعهدهما، ولكنَّهما مع هذا كانا يتمنَّيان أن تصبح تلك العلاقة طبيعية بحيث نلحظُ في الأصوات أمورًا رمزية وثيقةَ الصِّلة بالمدلولات، فيُمكن القول إذًا بأنَّ العلاقة بين الصوت والمعنى لدى الفلاسفة كانت تترنَّح ما بين انقطاعها وقبول الاعتراف بها.(٢)

أمَّا لدى العرب فقد تطرَّقَ عددٌ من العلماءِ لهذهِ المسألة أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، وإذا تتبَّعنا كلام النحاةِ واللُّغويين وجدنا لديهم محاولاتٍ جادّة في الوقوفِ على هذه المسألة، والتفاتهم إلى دلالةِ الصوت ومناسبتهِ لمعناه، وأكثرُ ما نجدها واضحة لدى ابن جني في الخصائص، وكتابات ابن الأثير من بعدهِ.(٣)

يرى ابن جني بأنَّ العرب اهتمَّت بعلاقةِ الأصوات بالمدلول في اللفظ ومن ذلك قوله: "فأمَّا مقابلة الألفاظِ بما يُشاكل أصواتها من الأحداثِ فبابٌ عظيمٌ

(١) يُنظر: أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٦٦م)، ط٣، ص١٢٦.

(٢) يُنظر: أنيس، إبراهيم، المرجع نفسه، ص١٢٦.

(٣) يُنظر: المطارنة، محمد يوسف، سورة آل عمران دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، الأردن، (٢٠٠٦م)، ص٣-٤.

واسع، ونهجٌ متلئبٌ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمتِ الأحداث المُعبَّرِ عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها."[١]

وقد ذكر في خصائصه أمثلةً لهذا الباب منها ما ذكره حول لفظيَّ: خضمٍ وقضم، والفرق بينهما من ناحية الصوت بحيث تُشاكل أصوات حروف كلُّ لفظةٍ مدلولها وما تُستخدم له في السيِّاق " من ذلك قولهم: خَضِمَ وقَضِمَ، فالخضمُ لأكلِ الرُّطب؛ كالبطيخ والقِثَّاء...، والقَضمُ للصُّلبِ اليابس؛ نحو: قَضِمَت الدَّابة شعيرها".[٢]

ويُمكن أن نُلخِّصَ جهود ابن جني في بحثهِ حول دلالةِ الأصوات ونحصرها في اتجاهين متكاملين، هما:

الأول: النظر إلى صفةِ الحرف ومخرجهِ وحاله من حيث التفخيم والترقيق والشِّدَّة والرَّخاوة والجهر والهمس والإطباق والانفتاح والاستعلاء والاستطالة والتفشي وغير ذلك، وبحث العلاقة بين هذه الأحوال والصِّفات وبين الدلالة الوضعية للكلمة.

الثاني: النظر إلى دلالةِ الكلمة كتركيبٍ صوتي له بُنية وهيئة بعينها، بحيث يبحث العلاقة بين تركيب أحرف تلك الكلمة ومناسبة ذلك في التركيب وتلك الهيئة للمعنى الذي وضعت له الكلمة.[٣]

كان لجهود القُدامى في دراسة الأصوات فضلاً كبيرًا على الدراسات الأدبية والنقدية، "ولعلَّ وصولهم إلى بعض الظواهر الصوتية، وأثرها في مستوياتِ

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: الشربيني شريدة، القاهرة: دار الحديث، (٢٠٠٧م)، ج٢، ص١٥٦.

(٢) ابن جني، المرجع نفسه، ص١٥٦.

(٣) يُنظر: المطارنة، محمد يوسف، سورة آل عمران دراسة أسلوبية، المرجع السابق، ص٦.

التعبير يعننا – إلى حدٍّ كبير – على فضِّ مغاليق النص الأدبي من ناحيةِ الصوت الإيقاعي اللُّغوي".[١]

إيقاع الكلمة المفردة:

إنَّ القرآن الكريم مُعجزٌ في لفظهِ ومعناه وفي مدى انسجامِ الأصوات مع مدلول الكلمة وسياق الآية، فصوت الحرف الواحد بالمفردة القرآنية يُؤثِّرُ على باقي أصوات المفردة وعلى السياق، والعرب استشعروا هذه المُزية في القرآن " فلمَّا قُرِئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماتهِ، وكلماتهِ في جملهِ، ألحانًا لُغوية رائعة؛ كأنَّها لائتلافها وتناسبها قطعةً واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمرٌ لا قِبَل لهم بهِ، وكان ذلك أبين في عجزهم".[٢]

وهذا الاتِّساق الصوتي بين الحروف نجده واضحًا في مفردات الطبيعة النباتية في القرآن؛ وقد أسهم هذا الاتساق في إظهارِ جماليَّات الآيات واستشعارِ معاني الخطاب القرآني، وسنحاول استعراض بعض هذه الآيات وتحليلها لاستظهار مواطن الجمال الإيقاعي بالآيات:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

(١) مبروك، مراد عبد الرحمن، من الصوت إلى النص (نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري)، القاهرة: عالم الكتب، (١٩٩٣م)، ص٧.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المرجع السابق، ص١٤٨.

عندما نبحث في معنى (الثمرات) فإنَّها تدلُّ معجميًّا على حملِ الشجر، وكلُّ شيءٍ ينتجُ من شيء آخر؛ فالولد ثمرة الأب، والمال ثمرة العمل[١]، والله سبحانه أنعم على البشر بإنزال المطر وإنباتِ الشجر به وإخراج أنواع الثمار لتكون طعامًا لنا ولأنعامنا[٢]، ومخارج حرفيّ الثاء والميم أمامية يخرج صوت الثاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العلوية والميم يخرج صوته بضمِّ الشفتين فهو حرف شفوي[٣]، وهذا يتناسب مع طريقة أكل الإنسان للفواكه فهو يقضمها بالثنايا والأنياب الأمامية.

كما أنَّ لحرفِ الراء صفةً تكرارية[٤]، فهو يبدو وكأن صوته يتكرر عند النطق به، والشجر يتكرر انتاجه حسب نوعه وجودتهِ في فتراتٍ محددة من كلِّ عام، فصفة التكرار إذًا تُلائم مفردة الثمر فهو يتكرر خروجه من الشجر في كل عام، وهذا الانسجام بين الأصوات ومعاني المفردات في سياق الآيات يدلُّ على أنَّ القرآن مُعجزٌ في أصغر جزءٍ من آياتهِ وهو الصوت.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]

لقد وردتْ هذه الآية في سياقِ قصة ولادة السيدة مريم لابنها نبي الله عيسى عليهما السلام، يقال في تفسير هذه الآية: أنَّ مريم عليها السلام عندما جاءها المخاضُ إلى جذع النخلة وقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم:٢٣] ناداها من تحتها، وقيلَ إن الذي ناداها هو: ابنها عيسى عليه السلام وقيل: إنه الملك جبريل عليه السلام ناداها من أسفلِ الوادي، فأخبرها ألَّا

(١) يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت: دار صادر، (١٤١٤هـ)، ط٣، ج٤، ص١٠٦ (ثمر)

(٢) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المرجع السابق، ج١، ص٧٢.

(٣) يُنظر: بشر، كمال، المرجع نفسه، ص١٨٨.

(٤) يُنظر: بشر، كمال، علم الأصوات، المرجع السابق، ص١٩٨.

تحزن وأن تشرب من النهرِ وتأكل من رطبِ النخلة[١]، ولو نظرنا لصفاتِ حروف مفردة (جذع) نجدها تتنوع ما بين الشدة والرخاوة، فحرف الجيم شديد انفجاري والذال صوت رخو وحرف العين شديد ورخو لأنه احتكاكي ولكنّه صوت قوي[٢]، ويرى ابن حيان بأنَّ الجذع يعني أصل النخلة الذي يوجد على الأرض ويتصل بالأغصان، ويعني كذلك الغصن نفسه[٣]، وهذا يناسب حال السيدة مريم فهي في موقفٍ شديدٍ وكربٍ صعب وحالٍ ضعيف بسبب آلام المخاض والخوف من قومها والجذع شديد في أسفله وليّن في أغصانه، فكان اختيار كلمة جذع بدلا من الاكتفاء مثلا بكلمة النخلة في الآية

مناسبًا للحدث والحال. وأمَّا عن كلمة (رطب) فصفة حرف الراء فيها كما ذكرنا سابقًا هي تكرارية[٤]، والتكرار في حرف الراء يدلُّ على تكرارِ سقوطه عند اهتزاز جذع النخلة، والطاء كما هو معروف صوت مهموس ينفرج معه الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض في أثناء مرور الهواء عند النطق به[٥]، وربما لهذا السبب أُمرِت السيدة مريم بأكل الرطب لأن حالها سيتبدل من الضيق للانفراج بعد تناوله.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف:٤٧]

(١) يُنظر: ابن كثير، عماد الدين الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حكمت بن ياسين، السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، (١٤٣١هـ)، ج٥، ص٢١٨ إلى ص٢٢١.

(٢) يُنظر: بشر، كمال، المرجع نفسه، ص٢٠٧، ٢١٣.

(٣) يُنظر: ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: محمد العطار وآخرون، بيروت: دار الفكر، (٢٠٠٠م)، ج٧، ص٢٣٦.

(٤) يُنظر: بشر، كمال، علم الأصوات، المرجع السابق، ص٢١٣.

(٥) يُنظر: بشر، كمال، المرجع نفسه، ص١٧٤.

جاء في معنى (تزرعون) أنها خبرٌ بمعنى الأمر، أي: ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة، وقد وردت في سياق قصة تفسير نبي الله يوسف عليه السلام لحلمِ المَلِك[١]، وتدلُّ الكلمة في معناها

المعجمي على بَذْرِ الحَبِّ في الأرضِ والعمل على سقايتها والعناية بها حتى تنمو وتنبت من الأرض[٢]، وعند التأمل في أصوات كلمة زرع نجد أنَّه يغلب عليها أنها حروف مجهورة تُحدِثُ عند نطقها اهتزازاتٍ وذبذباتٍ منتظمة[٣]، وفعل تزرعون في السياق تدل على العمل الدؤوب والانتظام على الزراعة لفترة معلومة في الآية وهي سبع سنين، وجاء هذا الاختيار للكلمة مناسبًا صوتيًّا للسياق.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ **[القمر: ٣١]**

عُذِّبَت ثمود بالصيحة لتكذيبهم لنبيِّهم صالح وعقرهم للناقة التي أُرسلت كفتنةٍ واختبارٍ لهم، فأرسل الله عليهم الصيحة، وأصبحوا هامدين كما يهمدُ ويبسُ الزرع والنبات في مرعى المواشي بالصحراء فتسفيه الريَّاح. [٤]

ونُدرِك من القراءةِ الأولى للآيةِ مناسبة كلمة (هشيم) لسياق الآية، فصوتيِّ الهاء والشين في الكلمة مهموسة رخوة[٥]، خفيفة وضعيفة عند النطق بها وهذا مناسبٌ لحال قوم ثمودٍ بعد ارسال الله الصيحة عليهم، فتحولوا بعد قوّتهم وتجبّرهم إلى الهوانِ والضعف، وهو يشبه تحوّل نبات المرعى بعد اخضراره وجماله وقوته إلى الاحتراق واليباس.

(١) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المرجع السابق، ج٤، ص٢٤٦، ٢٤٧.
(٢) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج٨، ص١٤١ (زرع).
(٣) يُنظر: بشر، كمال، المرجع نفسه، ص١٧٤.
(٤) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ج٧، ص٩٠،٩١.
(٥) ينظر: بشر، كمال، علم الأصوات، المرجع السابق، ص١٧٤، ٢١٣.

انسجام الصوت مع انزياح الدلالة:

يُمكن تعريف الانزياح أولا بأنَّه: " خروجٌ عن المألوف أو ما يقتضيهِ الظاهر، أو هو خروجٌ عن المعيار لغرض قصدَ إليه المتكلم أو جاء عفو الخاطر، لكنَّه يخدمُ النص بصورة أو بأخرى وبدرجاتٍ متفاوتة"(١).

وللانزياح أشكالٌ متعددة فقد يكون إما خرقًا للقواعد حينًا، أو استخدامًا لما نَدر من الصيغ، أو يكون مخالفةً بين النص والمعيار النحوي العام للغة. أو قد يكون انتقالًا مفاجئًا للمعنى، أو انحراف الكلام عن نسقهِ المثالي المشهور.(٢)

اختار القرآن بعض المفردات النباتية التي خرجت عن معناها المعجمي الدلالي لتتوافق مع سياق الآية، وقد وردت بعض الأمثلة للانزياح الدلالي في الآيات سنستعرض بعضًا منها لتحليلِ انسجام الإيقاع الصوتي للمفردة مع دلالتها.

مفردة نبت:

مفردة نبت في القرآن خرجت عن معناها الأصلي في القرآن مرتين وذلك في آيتين:

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:١٧]

عندما نبحثُ في تفسير الآية نجدُ بأنَّ معنى (أنبتكم) تدلُّ على الإنشاء والخلق، فالإنسان مخلوقٌ من ترابِ الأرضِ مثل النبات، فالله "أراد مبدأ خلق آدم خلقه من الأرض والناس ولده"(٣)، وهذا يعني بأنَّ مفردة (نبت) قد انزاحت عن

(١) أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، عَمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، (٢٠٠٧م)، ص١٨٠.

(٢) يُنظر: أبو العدوس، المرجع نفسه، ص١٨٠

(٣) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المرجع السابق، ج٨، ص٢٣١.

معناها الأصلي وهو خلق النبات إلى خلق الإنسان ليشبه النبات في طريقة خلقهِ، ونجِدُ بأنَّ حروف كلمة (نبت) متوافقة مع معنى مفردة أنبتكم في السياق،

فالنون والباء حرفان يحدثانِ اهتزازًا وذبذباتٍ في الوتران الصوتيان عند النطق بهما وذلك لاقتراب الوتران الصوتيان من بعضهما البعض فيضيقُ الفراغ بينهما، والتاء حرفٌ مهموس ينفرج معه الوتران الصوتيان ولا يعترضُ مجرى الهواء شيء[١]، وهذا الانتقال من الضيق إلى الانفراج في مجرى الهواء يُشبه كيفية الخلق والإنشاء فهي تمرُّ بمراحلٍ سواءً كانت بالإنسانِ أو النبات فكلٌّ منهما يبدأُ بمرحلةٍ صغيرة يكونُ فيها بداخل طبقاتٍ ضيقة قبل خروجه منها، فالإنسان في بطن أمه يكون تحت المشيمة وجدار الرحم، والنبتة تكون بداخل طبقاتٍ من التراب.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]

أمَّا عن معنى (أنبتها) هنا فيختلف عن معناها بالآية السابقة وعن معناها المعجمي، فهي تدلُّ على الخَلقِ التام للسيدة مريم، أي: صوَّرها الله في أحسنِ صورة وأجملِ شكل، من غير زيادةٍ أو نقصان[٢]، وكما ذكرنا سابقًا في وصفِ حرفيِّ النون والباء، فإنَّهما يُحدثانِ ضيقًا في الهواء بين الوترين الصوتيين، ثم ينفرجانِ عند النطق بحرف التاء. وإضافة على ذلك وجود حرف الهاء الذي

(١) يُنظر: بشر، كمال، علم الأصوات، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (٢٠٠٠م)، ص١٧٤.

(٢) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ج٢، ص٣٣٩. ويُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المرجع السابق، ج٢، ص٣١.

ينفرج معه الوتران الصوتيان انفراجًا تامًّا، وتكرار حركة الفتحة في المفردة والتي تسمح بمرور الهواء من الفم حرًّا طليقًا دون عائقٍ[١]، يدلُّ على تبدل حال السيدة مريم ووالدتها، فعند ولادة الأم لمريم خشيت ألا يقبلها الله فاعتذرت لها بأنها قد وضعتها أنثى وليست ذكرًا؛ وذلك لأنها قد نذرت بأن تهب ما في بطنها لخدمة الكنيسة ويكون من السدنة[٢]، ولكن سرعان ما تقبلها الله وتبدل الحال من الخوف والضيق إلى القبول الحسن، فأحسن الله للأم وابنتها بأن أحسن في خلقها وأتمم لها في الخُلق والخَلق والمكانة.

مفردة حرث:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣]

جاء عن كلمة (الحرث) في لسان العرب أنها تعني: العمل في الأرض زرعًا؛ بقذفك الحبَّ فيها.[٣]وكما نرى فإن الكلمة خرجت عن معناها المعجمي بالآية إلى معنى جميل يتوافق مع السياق، فقد اختار القرآن كلمة حرث للدلالة على النساء فهنَّ حَرْثُ الرِّجال، فكما يُقذف الحبُّ في الأرضِ تُقذَفُ النطفُ في أرحامهنّ[٤]، وأصوات الكلمة جاءت متناسقةً مع الانزياح الدلالي للكلمة فغلبت على حروفها الأصوات المهموسة المنخفضة في الحاء والثاء والكاف أيضًا[٥]، فتشير إلى حميميّة العلاقة الزوجية، وتشير كذلك إلى عملية قذف الحبِّ في

(١) يُنظر: بشر، كمال، المرجع نفسه، ص٢١٧-٣٠٤.

(٢) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المرجع السابق، ج٢، ص٣٠، ٣١.

(٣) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج٢، ص١٣٤. (حرث)

(٤) يُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، ضبطه: مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، (١٩٨٧م)، ط٣، ج١، ص٢٦٦.

(٥) يُنظر: بشر، كمال، علم الأصوات، المرجع السابق، ص ١٧٤.

الأرض التي تكون بالانخفاض إليها والاقتراب منها، وهذا مشابهٌ للعلاقة بين الزوجين.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠]

يتكرر استخدام اللفظ هنا أيضًا ليدلَّ على دلالةٍ مخالفة للدلالةِ السابقة، والحرث هنا يأتي بمعنى (العمل)، والجزاءُ يكونُ من جنسِ العمل، فمَن عمل للآخرة نال ثوابها وبل وضُوعِفَ له في الجزاء والأجر، ومَن عمل للدنيا لم ينل سواها.(١)

وكلُّ عملٍ يعملُ به الإنسان سواءً كان للدنيا أم للآخرة، يكونُ مشغوفًا به وهذا الشغف يقترنُ بالضَّعف، فيصبحُ القلبُ متعلِّقًا بهذا العمل دونَ سواه متنازلًا عن جميع الملذَّات والاهتمامات الأخرى، ومن هنا يتضح لنا سبب اختيار كلمة حرث دون غيرها من الكلمات، فأصواتُ حروفها كما ذكرنا سابقًا، منخفضة ومهموسة والعاطفة والتعلق أمرٌ خفيٌّ بداخل النفس والقلب، وعلى الإنسان ألا يتعلق بشيءٍ غير الله، فكلما شُغِف الإنسانُ بحبِّ الله والعمل لأجلهِ، وكلما تنازل عن كلِّ ملذات الدنيا رفعه الله وأحسنَ في ثوابهِ.

مفردة شجر:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

تدلُّ كلمة (شجر) في المعجم على النبات المعروف وهو كل ما قام على ساق(٢)، " وشجر بين القوم الأمر، إذا اختلف أو اختلفوا وتشاجروا فيه، وسميت

(١) يُنظر: الزمخشري، الكشاف، المرجع السابق، ج٤، ص٢١٨.

(٢) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج٤، ص٣٩٤. (شجر)

مشاجرة لتداخل كلامهم بعضه في بعض" [١]خرجت الكلمة عن معناها المعروف إلى معنى جديد، وهو الخِلاف واختار القرآن هذه الكلمة لأنَّ الشجر متشابك ومتداخل وهذا يشبه حال الخلافات بين البشر[٢]، وتناقض أصوات الحروف ما بين الرخاوة في الشين والشدِّة في الجيم[٣]، إضافةً للتكرار في حرف الراء، وانفراج الوتران الصوتيان بسبب حركات الفتحة ينسجمُ مع حال الأطراف المختلفة فيما بينها.

نفهمُ من خلال الآياتِ السابقة أنَّ القرآن يختارُ لكلِّ سياقٍ ما يناسبه صوتيًّا من الألفاظِ والحروف وما يتَّسقُ مع جمالِ المعنى، وقيمة الخطاب، وغاية السياق. وهذا يجعلنا نُدركُ سِرًّا من أسرارِ الإعجاز القرآني، ونتلمّسُ جانبًا من جوانبه. قال الرافعي في هذا الجانب:" وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة ....، ولقد كان هذا النظم عينه هو الذي صفى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولى تربية الذوق الموسيقي اللغوي فيهم".[٤]

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٦.

(٢) يُنظر: الزمخشري، المرجع نفسه، ج١، ص٥٢٩.

(٣) يُنظر: بشر، كمال، علم الأصوات، المرجع السابق، ص٢١٢، ٢١٣.

(٤) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المرجع السابق، ص١٤٩.

جماليَّات التكرار الصوتي

يأتي التكرار من المصدر (كرَّر) وهو يعني: الرجوع والإعادة، فمعنى كرر الشيء أي: أعاده المرّة بعد الأخرى(١)، ويُسهم التكرار في القرآن سواءً كان للحرفِ أو للكلمة في تشكيلِ الأنغام الحسنة، ويزيدُ من الإيقاع الجميل والمتميز في آياتهِ، ويكسبه انسجامًا موسيقيًّا، هذا بالإضافةِ إلى المعاني التي يؤدِّيها الإيقاع من خلالِ تناسقهِ مع جوِّ الآياتِ ودلالاتها.(٢) وسنتتبَّع بعض أنواع التكرار التي وردت في الآيات النباتية ونحاول تحليلها واستظهار جماليَّاتها:

أولًا: تكرار الحرف:

من خلال دراستنا نلحظُ في آياتِ النبات تكرر مجموعةٍ من الحروف المتقاربة في مخارجها، والمتشابهة في صفاتها، وتكررت هذه الحروف: [الراء – والنون – والباء]، في غالبِ آياتِ النبات بالقرآنِ وهي حروفٌ تتقارب في مخارجها وتتشابه فجميعها ذلقية تخرج من ذلقِ اللسان، أي: من طرفيّ اللسان، عدا حرف الباء الشفوي، وجميعها حروف مجهورة(٣). سنذكر بعض الآيات التي تكررت فيها هذه الحروف.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]

تكرر حرف الباء خمس مراتٍ في الآية لإثباتِ أجر من ينفقُ أمواله لله وراغبًا بذلك في كسْبِ الآخرة، ولا يتناسب مع هذا السياق إلا حرفًا واضحًا في السمع وقويًّا وجهوريًّا كصوت الباء.

(١) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج٥، ص١٣٥. (كرر)

(٢) يُنظر: صالح، معين رفيق أحمد، دراسة أسلوبية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، (٢٠٠٣م)، ص٢١.

(٣) يُنظر: النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص٢٨. ويُنظر: بشر، كمال، علم الأصوات، المرجع السابق، ص١٧٤.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١]

قيل في معروشات أنه يُقصد بها: كرم العنب، وهو أيضًا كلُّ نباتٍ انبسط على الأرض واحتاج لعريشٍ ليرفعه عن الأرض(١)، وقد تكرر كما نلاحظ في الآية حرف الراء ست مرات، واختيار صوتٌ متكرر وواضح مثل صوت حرف الراء في سياق بيان القدرة الإلهية على الخلق مناسبٌ للمقام، لأنَّ الله جلَّ في علاه لا يعجزه شيءٌ عن الخلق وقدرته على إنشاءِ الجنات المعروشة وإخراج الزرع وجميع الفواكه بأيِّ مكانٍ وبأيٍ وقت ومتى شاء.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٩]

القنوان: هو العذق في النخل(٢)، صوت النون أكثرُ ما يتكرر في أسماء الثمار بالقرآن مثل: العنب والرمان والزيتون وطلع النخيل، وهو صوتٌ يخرج من ذلق اللسان، واللسان مرتبطٌ بحاسة التذوق ومعظم خلايا التذوق تكمن في اللسان كجزء رئيس يتحكم بهذه الحاسة. ولحرف النون وقعٌ جميل على الأذن، ونغمٌ لطيف يحدثه في النفس، وهذا مشابهٌ لشعورنا عند أكل أحد هذه الثمار، إلى جانب أن الرنة الناعمة والهادئة للنون تعطي مزيدًا من التأثر لسياق القدرة الإلهية.

(١) يُنظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة: دار نهضة مصر، (١٩٩٨م)، ج٥، ص١٩٤.

(٢) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المرجع السابق، ج٣، ص١٧٢.

تمتلك الأصوات قدرةً على التأثير في المتلقي، وسهولةً في إيصال المعنى، ولذلك تكررت بعض الحروف المجهورة في الآيات النباتية؛ مثل النون والباء والراء وأكثر ما نراها تتكرر في سياق القدرة على الخلق والامتنان على البشر بتعداد أنواع الثمار؛ وذلك لما لها من رنين وصفة الوضوح في السمع.

تكرار المد:

المدُّ لغةً: يعني الزيادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح:١٢] أي: يزدكم. واصطلاحًا تعني: إطالةُ زمنِ صوت حرف المد إلى أكثر من حركتين عند ملاقاةِ همزٍ أو سكون. وحروف المد ثلاثة هي: الواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها، وتجتمعُ جميعًا في لفظ: (نُوحِيهَا).(١)

وبالعودة إلى الآيات النباتية نجد أنّ معظم الألفاظ النباتية في تلك الآيات الكريمة قد وردت مشتملة على حرف مدّ، ومثالُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[البقرة: ٦١].

فنُلاحِظ مثلا في الآيةِ السابقة تكرار حرف المدّ في كلِّ مفردةٍ نباتية وردت في الآية تقريبًا؛ وذلك في: بقلِها، وقِثَّائِهَا، وفومِهَا، وعدسِهَا، وبصلِهَا. ولوجودِ

(١) يُنظر: الحفيان، أحمد محمود عبد السميع، أشهر المصطلحات في فنِّ الأداء وعلم القراءات، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠١م)، ص٢٧٣.

(المدِّ) قيمةٌ في النصّ فهو في تجانسهِ مع الحركاتِ التي تسبقهُ، ينطلقُ الصوت معه مسافةً أطول تتجاوبُ معها المشاعر، وتطربُ لها النفس. (١)

ولو أخذنا هذه الآية على سبيل المثال للمدِّ وليس الحصر: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[البقرة:٢٦٦] سنجد المدّ قد شمل ثلاث كلماتٍ هي: (نخيل، أعناب، الثمرات)، وتُعطي هذه الكلمات إيقاعًا موسيقيًّا قويًّا وجميلاً، نشعرُ من خلالِه بالتأنِّي فالمدُّ يجبر العقل على تدبُّر المعنى وفهمه. إلى جانبِ ذلك فأصوات الحركاتِ عند النطق بها تكون واضحة في السمع، وهذا ليتناسب مع سياق الآية التي تدعو إلى التفكُّر والتأمل، وطول المدِّ يتوافق مع امتدادِ النباتِ في النمو إمَّا عاليًا أو على الأرض.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]

فعند الوقوف في التلاوة على لفظة (بَاسِقَاتٍ)، تمدّ الألف فيها ستّ حركات، وهو المدّ العارض للسكون(٢)، ونتصوَّرُ من المد الطويل في لفظةِ باسقات طول وامتدادِ النخلة الفارع وارتفاعها إلى السماء، وهذا يدعو إلى الوقوف والتأملُّ في جمالِ الآية ودِقَّةِ اختيار اللفظ، وإذا تلونا بعدها لفظ (نضيد) نستشعرُ من هذا المدِّ الهابط، منظر النخيل وطلعه متراكبٌ فوق بعضه البعض(٣) ويكاد

(١) يُنظر: بن أسباع، زبيدة، دلالة التكرار في سورة الرحمن، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، مجلة الأثر، ع١٤، (٢٠١٢م)، ص٨٩.

(٢) يُنظر: الشاعر، حسن إبراهيم، تحفة الإخوان في بيان أحكام تجويد القرآن، دار الأصفهاني، ص١٧، ١٨.

(٣) يُنظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، المرجع السابق، ج١٣، ص٣٣٦.

يقترب من الأرض، هذا الارتفاع الحاد في المد، ومن ثم الهبوط المفاجئ، أشبهُ ما يكون بالنخلة المثمرة.

من خلال تتبُّع الآيات النباتية يُمكننا إحصاء عدد المفردات النباتية التي ورد فيها المد بكثرة بالقرآن الكريم:

المفردة	التكرار	حرف المد
(نبات)	٩ مرات	الألف
(نخيل)	٧ مرات	الياء
(ثمرات)	١٦ مرة	الألف
(أعناب)	٩ مرات	الألف

تكرار اللفظ:

يعتبرُ التكرار من الظواهر الصوتية الأسلوبية كونهُ مرتبطٌ بالفصاحةِ، يقول السيوطي فيه: "هو أبلغُ من التأكيد وهو من محاسنِ الفصاحة"(١)، والقرآن في لغته يتَّخذُ من الصوت المتكرر وسيلةً بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، معتمدًا في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائصٍ صوتية وما تُشيعه بجرسها الصوتي من نغمٍ يُسهمُ في إبرازِ المعنى المُراد(٢).

وللتكرار مزايا أسلوبية يُضفيه للنصِّ منها: التأكيد على المعنى، أو زيادةً في التنبيه لنفي التهمة وليكمل تلقي الكلام بالقبولِ، أو للتذكير بالكلام السابق منعًا للنسيان، أو تكرار المتعلق لنفي الغفلة. (٣) وقد ورد في آياتِ النبات نوعين

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٤م)، ج٣، ص٢٤٢.

(٢) يُنظر: المطارنة، محمد يوسف، سورة آل عمران دراسة أسلوبية، المرجع السابق، ص١٦.

(٣) يُنظر: بن أسباع، زبيدة، دلالة التكرار في سورة الرحمن، المرجع السابق، ص٨٦.

من التكرار: تكرار اللفظ في الآية الواحدة، وتكرار اللفظ في آياتٍ متعددة بأكثر من موضعٍ واحد، وسنتتبَّع هذه الآياتِ ابتداءً بالنوع الأول ونُورِد بعض الأمثلة.

تكرار اللفظ بالآية الواحدة:

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:١٧]

نلاحظ تكرار كلمة نبت بصيغة المصدر؛ وهذا التكرار الموسيقي لحروفٍ متقاربة في المخارج ومتقاربة بالشدة والقوة يُثبت وحدانية الله وتأكيد قدرتهِ على الخلق. وهذا التكرار في سياق القدرة يسترعي منا الوقوف والتأمل في الآية.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الانعام:٩٩]

وأما عن المفردتين: ثمره وأثمر، فإنَّ تكرار حرف الراء فيهما يفيد (الاستمرارية)، فرزق الله مستمرٌّ ما دامت الحياة مستمرة، إلا أن يشاء الله لهذا الماء أن يتوقف عن الهطول ولهذا النبات أن يتوقف عن الخروج.

ويتكرر هذا التردد بكلمة أثمر بنفس المعنى والغاية في نفس السورة في آيةٍ أخرى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٤]

جاء التكرار في هذه الآية على صيغةِ اسم الفاعل في (الزارعون) مشابهًا للفعل (تزرعون)؛ وقد أفاد هذا التكرار التذكير بقدرة الله تعالى على إنشاءِ الزرع

وكل النباتات على الأرض، وتردد أصوات الزاي والراء والعين التي تعطي تنبيهًا للسمعِ وشعورًا بالقوة والشدة، وهذا ما يتناسب مع مقام السؤال.

تكرار اللفظ في آياتٍ متعددة:

سنحاول إحصاء المفردات التي تكررت في عِدَّةِ مواضعٍ من الآيات النباتية مع استعراض الغرض الذي تكررت له بالآياتِ:

المفردة	التكرار	الغرض من التكرار
أنبتنا – نبات	أنبتنا: ٨ مرات نبات: ٩ مرات	جاءت هذه المفردات في غالبها لغرضِ القدرة على الخلق.
الثمرات – ثمرات	الثمرات: ١٢ مرة ثمرات: ٤ مرات	تكررت لغرضِ بيان أنواع النعيم وتعدده.
الحرث – حرث	الحرث: ٥ مرات حرث: ٧ مرات	تكررت هذين اللفظين لغرضِ العمل في الأرض، أو في الدنيا، أو في غيرهما.
نَخْل – النخل نخيل – النخيل	نخل: ٨ مرات النخل: ٥ مرات نخيل: ٥ مرات النخيل: ٥ مرات	تكررت مفردات النخل بجميع صيغها لغرضِ الدلالة على المتاع والرزق.
زرع	٦ مرات	تكرر لغرضِ الرزق أيضًا.
فتيل	٣ مرات	تكررت لغرض بيان العدل الإلهي.
الحب – حب – حبة	الحب: ٣ مرات حب: ٥ مرات حبة: ٥ مرات	تكررت هذه الألفاظ لغرض القدرة الإلهية والجزاء.

تنسجمُ جميع المفردات التي تكررت في الآيات النباتية مهما اختلف غرضها وسبب تكرارها، مع أصوات حروفها، فالنون والباء والراء متقاربة أصواتها

في المخرج وفي صفة الجهر التي توحي بالقوة والمبالغة والشدة وهو ما ينسجمُ مع الغرض الذي تكررت لأجله في المفردات.

وأما في كلمة: (فتيل) فقد وردت لغرضِ العدل كما ذكرنا سابقًا ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[النساء: ٧٧]

تكرر هذا اللفظ في ثلاثة مواضعٍ من القرآن لتدلَّ على نفسِ الغرض وهو العدل وعدم ظلم الله لعبادهِ، ومما يُؤكِّد هذا الغرض في القلب، ويوقعه وقعًا جميلاً في النفس، هو دلالة اللفظ الذي جاء منسجمًا مع أصواته فاللفظ يدلُّ على الخيط الدقيق الذي يكون في شقِّ نواة التمرة، ويُضرب به المثل عادةً للقِلَّة والتفاهة، ونلاحظ بأنَّ المفردة احتوت على صوتين مهموسين وهما: الفاء والتاء، والصوت المهموس صوتٌ هادئ، ومنخفض وقعه بسيط على السمع وهذا يتناسب مع سياق الآيات التي تكررت فيها اللفظة.

ومن خلال دراسة الجانب الصوتي للآيات النباتية، يتّضح بأن القرآن اختار المفردات وأصواتها للدّلالة بدقة على غرضها في كلِّ آية، فانسجمت الأصوات مع الغاية التي أُختيرت ووضِعت لها بالآية، فلا تكاد تجد مفردةً لا تليق بسياقها، ولا صوت لا يتّسق مع الآخر داخل المفردة الواحدة.

الخاتمة

من خلال ما سبق نجد أن القرآن الكريم استند في آياته الإعجازية مراراً على مسألة خلق النباتات، ومزاياها المختلفة، ودعا الإنسان إلى التفحُصِ في أسرار هذه الموجودات الرائعة في عالم الخَلق، والطبيعة النباتية تدعونا إلى التفكُّرِ في قدرات الله تعالى، فهي تُشكِّل الجزء الأكبر من بيئتهِ وغذائه، إلى جانبِ ذلك فهي متنوعة ومتعددة في أشكالها وألوانها وصفاتها الغذائية.

ومن جملة النتائج التي توصل إليها البحث:

١- تلعب الدراسة الصوتية دوراً أساسياً في كشف جماليات النص القرآني، فتتلاءم الدلالة الصوتية مع سياق الآيات، وتختلف دلالة المفردات باختلاف طبيعة الأصوات التي تشكلها، ولقد استخدم القرآن الكريم في آيات النبات أصواتاً ملائمة مع جو البعث والتجدد، ووصْفِ الجمال والترغيب، وتجلى ذلك في صفاتِ الأصوات العامة المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة.

٢- تؤدي الأصوات –متحدة– معاني كثيفة وهذا الشأن يؤكد فكرة أن القرآن الكريم، يحمل في مفرداته طاقاتٍ نغمية ذات أثرٍ عجيب في النفس، تجعلنا نتمهل في قراءته، ونتدبر دقة اختيار كلماته ونتفكر في معانيها.

٣- إن اختيار الأصوات في حد ذاته، وصفات هذه الأصوات الصائتة أصوات المد، والصامتة بين انفجار واحتكاك، وتوزيعها متقاربة ومتباعدة، وتشابكها رغم اختلافها في الصفات والمخارج يعطي إحساسا بالجمال.

٤- إن أصوات حروف القرآن الكريم هي نفسها حروف العربية لكن أسلوب القرآن قد أفاد من الصوت ما فارق به أساليب الكلام العربي، وهذا يتضح في القيمة التعبيرية للصوت.

٥- قد يتكرر الصوت وفي تكراره تصوير للموقف وتجسيم وإيحاء مما يدل على أن نغمة الجرس تسهم في إبراز المعنى المراد. إن أهمية صوت القرآن ضرورة للإفادة منه في التأثير في الناس وقد نزل القرآن مسموعا لا مكتوبا.

٦- تعتبر العلاقة بين الأصوات اللغوية ومعانيها ظاهرة بارزة في اللغة العربية، كما أن للقيم الصوتية للقرآن الكريم تأثيرا كبيرا في تذكر المعاني. وقيمة الصوت تكمن في دلالتهِ وفائدته التأثيرية.

٧- يؤثِّر التكرار الصوتي على أداء وأهمية البِنى الصوتية في سياقاتٍ مختلفة ويعطي النصوص مجموعة من الخصائص الصوتية، مما يخلق جرسا خاصا في البِنى المعجمية.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الابراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، الجزائر: دار القصبة للنشر والتوزيع، ط٢، (٢٠٠٦م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، سر صناعة الإعراب، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠٠م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: الشربيني شريدة، القاهرة: دار الحديث، (٢٠٠٧م).
- ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: محمد العطار وآخرون، بيروت: دار الفكر، (٢٠٠٠م).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (١٩٧٩م).
- ابن كثير، عماد الدين الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حكمت بن ياسين، السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، (١٤٣١هـ).
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط٣، (١٤١٤هـ).
- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، عَمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، (٢٠٠٧م).
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠٤م).
- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، (١٩٦٦م).
- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، بيروت: دار القلم، ط٥، (١٩٨١م).

- بشر، كمال، علم الأصوات، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (٢٠٠٠م).
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، (١٩٩٧م).
- بن أسباع، زبيدة، دلالة التكرار في سورة الرحمن، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، مجلة الأثر، ع١٤، (٢٠١٢م).
- بن عيسى، فضيلة، روميّات أبي فراس الحمداني (دراسة جمالية)، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، (٢٠٠٤م).
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، بيروت: دار مكتبة الهلال، (١٤٢٣هـ).
- حسن، عباس، النحو الوافي، الناشر: دار المعارف، ط١٥.
- الحفيان، أحمد محمود عبد السميع، أشهر المصطلحات في فنِّ الأداء وعلم القراءات، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠١م).
- حمادة، حمزة، علم الجمال والأدب، جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي، كلية الآداب واللغات، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع١، (٢٠٠٩م).
- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٨، (٢٠٠٥م).
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، ضبطه: مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، (١٩٨٧م).
- سريدي، الحسين، حدود الأسلوبية واتجاهاتها، جامعة الجيلالي اليابس_سيدي بلعباس، مجلة البدر، مج١٠، ع٦، (٢٠١٨م).

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٠م).
- السعران، محمود، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، القاهرة: دار الفكر العربي، ط٢، (١٩٩٧م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٤م).
- سليمان، فتح الله أحمد، *الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية*، القاهرة: مكتبة الآداب، (٢٠٠٤م).
- الشاعر، حسن إبراهيم، تحفة الإخوان في بيان أحكام تجويد القرآن، الناشر: دار الأصفهاني.
- صالح، معين رفيق أحمد، دراسة أسلوبية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، (٢٠٠٣م).
- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة: دار نهضة مصر، (١٩٩٨م).
- عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، (١٩٨٤م).
- مبروك، مراد عبد الرحمن، من الصوت إلى النص (نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري)، القاهرة: عالم الكتب، (١٩٩٣م).
- المطارنة، محمد يوسف، سورة آل عمران دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، الأردن، (٢٠٠٦م).
- مومني، بوزيد، *معلقة امرئ القيس (دراسة أسلوبية)*، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، الجزائر، (٢٠٠٥م).

- المسدي، عبد السلام، *الأسلوبية والأسلوب*، الناشر: الدار العربية للكتاب، ط٣.
- ميسة، محمد الصغير، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر –بسكرة–، كلية الآداب واللغة العربية، الجزائر، (٢٠١٢م).
- النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، الناشر: منشورات جامعة القدس، (١٩٩٦م).
- هلال، عبد الغفار حامد، أصوات اللغة العربية، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٣، (١٩٩٦م).
- ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، دمشق: دار المكتبي، ط٢، (١٩٩٩م).